

الإحسان

د. محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون؛ يقول الله جلَّ شأنه في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ وقال ربنا تبارك وتعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون: ﴿اذهبا إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ مَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مَيْسَرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مُعْسِرِينَ» وروى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: «يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا، وَبَشَرُوا وَلَا تَنْفَرُوا»، وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيُرِجَ ذَبِيحَتَهُ».

أيها المسلمون، الرفق والإحسان من أسس التعامل في حياة المسلم، ومن أخلاق الدعوة إلى ديننا، وخلافهما ليس من الإسلام، هما أساس في منهج المسلم حتى في تعامله مع عدوه وخصمه. وأحد الأخلاق الأساسية التي تتصف بها شخصية المسلم ولا تنفك عنها، فهو في بيته يتعامل بالرفق مع زوجته ومع أولاده، وهذا لا يعني التساهل والتغاضي عن الأخطاء؛ بل يعني أن تصحح الأخطاء ويقوم الاغواج بدين ورفق ولطف، فباللطف يتحقق ما لا يتحقق بالعنف، وفي دعوتنا للآخرين إلى ديننا أمرنا الله عز وجل أن نسلك سبيل الرفق ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بل قال لموسى وهارون عندما وجههما إلى فرعون الطاغية الظالم المتأله في الأرض، قال لهما ﴿اذهبا إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى وعندما نتعامل مع الخصوم والأعداء — طبعاً الخصوم والأعداء ضمن المجتمع — قال لنا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ خير علاج لعداء المعادي وخصومة المخاصم أن تقابل إساءته بالإحسان؛ فإذا

الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. بصورة دائمة أمرنا ربنا تبارك وتعالى أن نتصف بكظم الغيظ، والعفو عن الناس والإحسان إليهم، فلا نستسلم لغضبنا ولا ننساق أمام انفعالاتنا، بل نكون على درجة من الرفق والتأني والحلم والتعقل، عندما يتطلب الأمر منا مواجهة عدو صلفٍ مستكبرٍ ظالمٍ طاغٍ، فإن علينا أن نواجهه بشجاعة وقوة وبأس، وعلينا أن نواجهه بشدة تليق بطغيانه وعريذته واستكباره، علينا أن نتصف بالشجاعة والقوة، ولكننا ونحن نتصف بالشجاعة والقوة، ونواجهه بالشدة التي وصفت؛ نتصف بالأخلاق التي ينبغي أن نتصف بها، فإذا قتلنا؛ قتلنا قتل من يعالج العضو الفاسد في الجسم بالاستئصال حرصاً على سلامة الجسد، لا نتجاوز القتل إلى التعذيب والتمثيل، نقبل إصلاحاً، ونتعامل مع عدونا بقصد الإصلاح، ونقاتله بقصد المعالجة، لا تشفياً ولا انتقاماً؛ بل ضبطاً للأمور ووضعاً للحد أمام الطغيان والفساد، نقتل إصلاحاً ولنضع حداً للطغيان والفساد، ولا نستسلم لمشاعرنا وأنانيتنا في التشفي والطغيان، الفساد لا يعالج بالفساد، والظلم لا يعالج بالظلم.

أقول هذا الكلام لنلتزم به بدءاً من البيت والأسرة؛ نتعامل بالرفق، ونتعامل بالإحسان وبسعة الصدر وبالحكمة وباللطف، نوصل الكلمة الطيبة للآخرين عبر بريد اللطف والرقّة والعذوبة، وليس بالشدة والقسوة والعنف ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَبِتَ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ بهذا أمرنا حبيبنا المصطفى ﷺ لكن ظهر في عصرنا هذا إسلام جديد، إسلام يحرق أتباعه الإنسان وهو على قيد الحياة، يقطعونه إرباً إرباً وهو على قيد الحياة، ويصفون عملهم بأنه من الإسلام، أقول: إن هذه التنظيمات القذرة التي ظهرت في هذه الفترة بعد تمهيدات أنتم أعرف بها، بدأت التمهيدات من أناس كنا نظنهم عقلاء فبدا أنهم ليسوا بعقلاء، إذ كانوا القنطرة التي وصل من خلالها الإرهاب إلى بلادنا، والذي يتزىي بزي الإسلام ويطلق اللحي ويضع العمام وينادي باسم الله عز وجل، ولكنهم والله عملاء لإسرائيل، وعملاء لأمريكا، صنعتهم أمريكا بغية شيعين، بغية تدمير بلادنا وبغية تشويه الإسلام، وكان فينا من ارتضوا أن يكونوا القنطرة التي يصل هذا الإرهاب من خلالها إلى بلادنا، ويشوه أحكام شريعتنا وديننا من خلالهم، هذا نوع من الإرهاب المرفوض في الإسلام، نوع من التشويه للإسلام، هذا النوع يتمثل في شكلين، شكل يمارس هذا الإرهاب بشكله الوحشي الممحي القدر الذي بدأ اليوم يتلقى ضربات النهاية لأن قطاعان الإرهاب ستال نتائج إرهابها باليد التي جلبتهم؛ سوف يقتلون، والأيدي التي جلبتهم هي التي ستقضي عليهم، بالوسائل نفسها وبالجبهة نفسها، أقول: هذا الإرهاب أو هذا التطرف له شكلان، شكل في ممارسة التطرف

والإرهاب، وشكل يبدو من الصف المقابل عندما ينسب ذلك للإسلام ليصفه بالتطرف والإرهاب. كلاهما شريكان في جريمة واحدة، أحدهما يمارس الإرهاب والقتل والوحشية والهمجية، والآخر يصدق على أن هذا هو الإسلام، وعلى أن هذه الممارسات هي من الإسلام.

كان أولى بهؤلاء أن يكونوا صادقين مع أنفسهم، الإسلام رسالة الله التي قال فيها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ لكن الإسلام الذي صنعه أمريكا وإسرائيل لكي تنفر الناس من الإسلام يظهر بهذه الشاكلة، ويظهر بالشكل الآخر الذي نجده بين صفوفنا وبين من يتزى بزينا ويقف إلى جانبنا فيما يبدو؛ هو داعشي بشكل آخر، الذي يصف الإسلام بأنه هو الإرهاب، وأنه مصدر التطرف، وأنه وأنه.. هؤلاء هم جزء من المؤامرة على بلادنا، ينبغي أن نعلم جيدا أن معرفة الإسلام معرفة صحيحة أمر من الضرورة بمكان، لكي نكون على درجة من الوعي بحيث لا يشوه الإسلام أمام ناظرينا، ويجب أن نكون أيضا على درجة من الوعي بحيث لا نسمح لأناس يندسون بين صفوفنا يصفون صنعة أمريكا وإسرائيل بأنها الإسلام. صوت وصدى، الصوت فعل هؤلاء المجرمين والصدى أولئك المندسون فيما بيننا والذين يتظاهرون بأنهم وطنيون ولكنهم يريدون أن يصفوا الإسلام بما أرادت أمريكا أن تصفه به، وبما أرادت إسرائيل أن تصفه به.

ينبغي أن نكون على درجة من الوعي، وأن يكون الرفق واللفظ والحكمة والموعظة الحسنة منهجنا في بيتنا ومنهجنا في الشارع ومنهجنا مع عدونا، ومنهجنا مع صديقنا، ولكن إلى جانب ذلك ينبغي أن نكون على درجة من الوعي واليقظة بحيث لا نقع في شباك تضليل تمارسه الجهات المعادية للإسلام في عصرنا هذا.

أسأل الله أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً وأن يعافينا من هذه الفتنة، إنه سميع مجيب

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين

خطبة الجمعة في 10 / 03 / 2017م